

الثورة الجزائرية وانقسامية النخبة المثقفة

أ.ة. سلاف نعيمة *

أ. كدورلي عبد الكريم *

الملخص:

تهتم الدراسة بتحليل الأسباب التاريخية للأزمة البنيوية التي يعيشها الحقل الثقافي في الجزائر من خلال تسليط الضوء على الإستراتيجية الكولونيالية التي سعت إلى شردمة النخب المثقفة الجزائرية تعنى الدراسة بتحليل أسباب القطيعة والازدواجية اللغوية باعتبارها مرجعية مغذية للصراع السياسي بين أطراف التيارات الحزبية الجزائرية قبل وبعد الثورة التحريرية، حيث استطاعت هذه الأخيرة تجاوز هذه التناقضات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتحقيق هدفها الأساسي " المتمثل في الاستقلال.

تنتقل الدراسة لتبين أسباب فشل الثورة في تكوين نخبة (انتلجنسيا) طلائعية قادرة على نقد السلطة القائمة كقوة ترمز لسلطة المعرفة وقدرتها على طرح البديل السياسي وبلورة مشروع ثقافي منسجم؛ مما يستدعي إحداث قطيعة مع جميع أشكال الممارسة السياسية والثقافة السياسية للسلطة والمجتمع معا قصد بناء نظام ديمقراطي حقيقي.

وانطلاقا من القسمين السابقين للدراسة، تحاول هذه الأخيرة توضيح بنية الأنتلجنسيا الجزائرية، باعتبارها منقسمة في مرجعياتها الفكرية ومشاربها الإيديولوجية

* - باحثة بالمركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران (كراسك CRASC)

* - باحث بالمركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران (كراسك CRASC)

إلى تيارين: التيار المعرب والنخبة المفرنسة نتيجة للسياسة التعليمية الفرنسية التي هدفت إلى شردمة الحقل الثقافي الجزائري منذ بداية الاحتلال.

تخلص الدراسة إلى أن انقسام النخبة المثقفة في الجزائر مرتبط بشكل وثيق بالإستراتيجية الكولونيالية التي تعكس إعادة صياغة الترتيب الاجتماعي خدمة لهيمنتها الثقافية، ونقل التضاد من شكله الشائبي، الكولونيالي والمحلي، إلى صراع بين ذوات محلية ذات طبيعة انقسامية تقوم على أساس التمييز الثقافي اللغوي الذي تجلى بصفة رسمية داخل إيديولوجيات الحركة الوطنية؛ والتي بدورها بقيت سجينة لصراعات وتناقضات إيديولوجية تغذيها المرجعية الثقافية. كما تخلص الدراسة إلى أن الثورة الجزائرية، بعدها الشمولي، تجاوزت هذه الصراعات والانقسامات البنيوية داخل الحركة الوطنية إلا أنها في نفس الوقت، بقيت عاجزة عن خلق وتكوين نخب ثقافية وسياسية طلائعية قادرة على طرح مشروع مجتمعي وسياسي جديد يعكس حقيقة الثورة التحريرية العظمى.

Abstract:

Algerian Liberation revolution and the Divisive in intellectual elite

This study proposes an analytical framework to understand the historical reasons of the structural crisis experienced by the cultural field in Algeria, focusing on the colonial strategy that sought to dismember the Algerian intellectual elite. The study will be analyzed the causes of the linguistic rupture and duality as a nourishing reference of political conflict between the deferent types of the Algerian partisan currents, before and after the Algerian revolution, where the latter was able to overcome these social, cultural and political contradictions and achieve its primary objective: "independence" (part 1).

It will then be argued that failure causes of the revolution to form an (Intelligentsia) elite able to critique existing power as a force to symbolize the power of knowledge, to offer a political alternative and to create a harmonious cultural project. This requires the separation

between all forms of political practice, political culture of power and society in order to build a real democratic system (part 2).

From the two previous sections, this study will attempt to clarify the structure of the Algerian intelligentsia divided in their intellectual references and ideological backgrounds to two trends: The arabized current and the frenchify elite and, as a result of the French educational policy aimed at tearing the Algerian cultural field since the beginning of the occupation (part 3).

The study concludes that the division of the intellectual elite in Algeria closely linked to the colonial strategy that reflects the which services its cultural reformulation of social classification hegemony, antithesis transfer from its bilateral form, colonial and the local form, to the conflict between the same divisive nature based on cultural and linguistic discrimination manifested in local ideologies of the national movement, which in its turn, remained a prisoner of the ideological conflicts and contradictions Supported by cultural reference . The study also concludes that the Algerian revolution with its holistic dimension overcomes these structural conflicts and divisions within the

But at the same time, this revolution remained .national movement unable to create cultural and political elites able to put up a new political community project and politician reflecting the reality of the great liberation revolution.

مقدمة:

لقد شكلت المسألة الثقافية إيديولوجيا للنزاع السياسي ومرجعية فكرية للحركات الوطنية، إلا أن القضية الجوهرية قد اتخذت مدلولاً سياسياً أعطى الأولوية للسياسي على حساب النخب المثقفة والمتقنين، وإن كان خطاب الحركة الوطنية قد تميز كخطاب سياسي إيديولوجي وثقافي في آن واحد، فإن الدارس لتشكل و بنية الأنتلجنسيا الجزائرية، يجدها منقسمة في مرجعياتها الفكرية ومشاربها الإيديولوجية إلى تيارين، التيار المعرب والنخبة المفرنسة، وهذا الانقسام ناتج عن السياسة التعليمية الفرنسية التي هدفت إلى شرذمة الحقل الثقافي الجزائري منذ بداية الاحتلال. هذه

الانقسامية ما هي إلا إستراتيجية كولونيالية تهدف إلى إعادة صياغة الترتيب الاجتماعي خدمة لهيمنتها الثقافية، ونقل التضاد من شكله الثنائي بين الكولونيالي وبين المحلي، إلى صراع بين ذوات محلية ذات طبيعة انقسامية تقوم على أساس التمييز الثقافي اللغوي هذا الانقسام تجلى بصفة رسمية داخل إيديولوجيات الحركة الوطنية، التي بدورها بقيت سجيئة لصراعات وتناقضات إيديولوجية تغذيها المرجعية الثقافية. وهذا ما جعل كل تيار يحمل عجزا موضوعيا وقصورا عن فهم و استيعاب حقيقة الشعب الجزائري ومسأله الوطنية. وقد استطاعت الثورة الجزائرية ببعدها الشمولي تجاوز هذه الصراعات والانقسامات العضوية داخل الحركة الوطنية.

ولكنها في نفس الوقت، وبكل موضوعية، عجزت عن خلق و تكوين نخب ثقافية و سياسية طلائعية قادرة على طرح مشروع مجتمعي وسياسي جديد، يعكس حقيقة الثورة التحريرية العظمى.

فقد عرف المجتمع الجزائري تحولات عميقة على جميع الأصعدة والمستويات، حيث أن الجزائر انتقلت من المرحلة الكولونيالية إلى مرحلة بناء الدولة الوطنية المستقلة. مما أدى إلى أزمة عضوية عميقة خنقت المجتمع الجزائري بعد أن عصفت بالمجال السياسي و شلت القطاع الاقتصادي وشرخت المناخ الثقافي والفكري للجزائر. فالجزائر تعيش كمجتمع وكدولة أزمة حادة تهدد بنسف أسس المجتمع وتقويض أركان الدولة. إن تجذر هذه الأزمة وعمقها وتعدد أبعادها جعلها تصنف في خانة الاستثناء مقارنة مع بعض الدول العربية المشابهة لظروفها التاريخية.

لا يمكن فهم وتحليل الأزمة العضوية التي عانت منها الجزائر بعد الاستقلال كانعكاس لنزاع اقتصادي بين قوى اجتماعية متناحرة، كما يؤكد المنظور المادي

التاريخي، الذي يعتمد على البعد الاقتصادي المادي كعامل حاسم في تحديد طبيعة كل صراع اجتماعي، والسبب يعود إلى طبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري، وبناء التقليدية، وتركيبته السوسولوجية المكونة من فئات وشرائح متباينة من جهة، وطبيعة ثقافته التقليدية ذات الطابع الانقسامي تعتمد على علاقات القرابة، وذات البعد القبلي، العشائري، والبعد الجهوي، والزبوني... من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق فالصراع السياسي في الجزائر قد ارتبط بالمسألة الثقافية كأيولوجيا ومرجعية مغذية لهذا النزاع. فالمسألة الثقافية في الجزائر قد عرفت انقساماً خطيراً على مستوى بنية النخب المكونة للحقل الثقافي والفكري في الجزائر. وهذا الانقسام لم يكن وليد عهد الاستقلال وإنما قد تجلت بوادره داخل مؤسسات الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، وقد تكرر وعيد إنتاجه بطريقة واسعة بعد الاستقلال. فانقسم المجتمع ونخبته إلى مجموعتين، مجموعة تمثل الأنتلجنسيا المفرنسة العصرية التي تعيش تفكر وفق النمط الغربي مجموعة ثانية معربة تنتمي إيديولوجيا إلى المشرق العربي، لا تقبل لها بديلاً ولا منافساً. وبطبيعة الحال كل واحدة تعمل وتناضل من أجل ممارسة الهيمنة على الجميع. ولكن ما يميز هذه الممارسة أنها تستهدف إقصاء الأخرى وطردها من خارطة الوطنية. وقد استمرت قطاعية النخب بعد الاستقلال، فلم يغير العهد الجديد شيئاً من هذه الثنائية بل زادها تشدداً وتصلباً. فانعكست على نوعية وكثافة العلاقة مع المجتمع ومختلف فئاته الاجتماعية. ونوعية العلاقة مع الدولة ومؤسساتها بعد الاستقلال.

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الرؤية والكشف عن مواقف النخبة المثقفة من التحولات والتغيرات التي يعرفها المجتمع الجزائري، بشكل عام، وعلاقتها بالنخب السياسية بشكل خاص، وذلك من خلال:

- تحديد المفاهيم النظرية المتعلقة بالنخب والمثقف ومعرفة سياق تطورها، مع إبراز تفاعلها مع باقي النخب المكونة للنسيج الاجتماعي الجزائري وأثرها في بناء وصياغة مشاريع الدولة الوطنية.

- إبراز دور العامل التاريخي في إشكالية المسألة الثقافية في الجزائر، باعتبار أن الصراع السياسي القائم في الجزائر - بعد الاستقلال- ما هو إلا استمرارية لتناقضات داخل توجهات الثقافية لتيارات الحركة الوطنية، وعامل اللغة كمحدد للنزاع السياسي في الجزائر قبل وبعد الاستقلال.

وبعد هذا التقديم والذي حاولنا من خلاله محاصرة الموضوع، وذلك سعيا منا لبناء أركان الإشكالية والإلمام بجميع جوانبها. فمن أجل ذلك لجأنا إلى وضع إطارين، الأول هو الإطار "المحلي الداخلي" والذي يتضمن دور المنظومة التعليمية في إفراز وتكوين نخب متعلمة سواء السياسة التعليمية الفرنسية، أو المدرسة العربية، وبالتالي تقديم لدور ومكانة المثقف عبر مرحلتين، مرحلة الحركة الوطنية والثورة التحريرية، والثاني تمثلان الحقبة الاستعمارية، ثم مرحلة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية. هذا فيما يخص بالإطار المحلي، أما الجانب الخارجي، فقد قسمته بدوره إلى قسمين، قسم خاص بالتوجهات النظرية للفكر النخبوي، وقسم آخر خاص بالإطار المفاهيمي للمثقف في الفكر الغربي والعربي.

وانطلاقا من هذا التقديم شكلت لدينا البوابة التي ولجنا منها لتحليل الإشكالية الرئيسية التي حددناها لموضوع الدراسة والتي تمثلت في التساؤلات التالية: ما هي الجدوى من تغيب شرعية المثقفين الجزائريين الذين ساهموا بالألمس في البحث عن الحلول للقضية الوطنية؟ وهل يمكننا تفسير موقع النخبة المثقفة الجزائرية الحالية بالرجوع إلى موقعها داخل الحركة الوطنية والثورة التحريرية؟ أم أن هذه الفئة المتمدرسة لم ترق في

تكوينها السياسي إلى مستوى المنظر والمشرع السياسي الذي هندس البناء السياسي المنظم للدولة الجزائرية؟ وهل للسلطة السياسية في مرحلة الاستقلال دور في تحجيم وظيفة المثقفين؟ أم أننا ما نزال نخاف كل الخوف من العمل بالعقلنة والمنهجية الفكرية وبالتالي الحفاظ على قاعدة الماضي المبنية على أن هذه الشريحة مصابة بالعقم، ومن ثم عدم الاعتراف بجهودها، بل وبشرعيتها، وجاز إبعادها عن التحول الذي شهدته الجزائر المستقلة؟.

فنظرا لطبيعة الموضوع، وخدمة للفرضيات التي اعتمدناها في هذا البحث، فقد زاولنا بين المنهجين التاريخي والوصفي. فقد اعتمدنا على **المنهج التاريخي**، كون التاريخ مصدرا هاما من مصادر المعلومات، حيث تترتب معرفة الحاضر على خبرات ومعرفة ما سبق من أحداث ووقعت في الماضي، ففهم وضعية المثقف الجزائري، إذ لا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى التاريخ، حيث أننا ركزت على بدايات القرن العشرين، فهذه المرحلة اتسمت بظهور النخبة المثقفة والمتعلمة من الأهالي الجزائريين، و هم خريجي المدارس والثانويات والجامعة، تشبعوا بكثير من القيم والمبادئ التي تحملها الثقافة الفرنسية والحضارة الأوروبية. ومن جهة أخرى تتبع النخبة المعربة ومساها العلمي والعملية. وتميزت هذه الفترة أيضا بظهور الحركة الوطنية بجميع تياراتها "الإدماجية -الاستقلالية- الإصلاحية". وذلك باعتبار أن الحركة الوطنية والمتمثلة في تيار الاستقلالي، يعود لها الفضل والأسبقية في إعلان وتبني الثورة التحريرية، والتي مثلت الشرعية التي أرتكز عليها نظام الحكم بعد الاستقلال. ولأجل هذا يمكن اعتبار أن وضعية المثقف الحالي ما هي إلا استمرارية في كثير من جوانبها لوضعية ومكانة المثقف في القرن العشرين.

أولا - الفضاء المدرسي و انقسامية النخب الجزائرية 1880-1962

لقد وضع الاستعمار الفرنسي إستراتيجية احتزالية، التي كانت من نتائجها المباشرة تحطيم البني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع التقليدي الجزائري. إذ توجب القيام بسياسة تجريد الجزائريين من كل ممتلكاتهم وأراضيهم وحبوساتهم . وهذا لم يف بالغرض الإحتلالي من دون تجريدهم أيضا من ثقافتهم وهويتهم الوطنية ولغتهم ونمط تعليمهم، وهذا لإتمام عملية الاستيطان الشمولي للجزائر. وقد كانت أولى توصيات قادة الإحتلال الفرنسي لجيشهم الزاحف على الجزائر في بداية الاستعمار 1830 هي قولهم: "علموا لغتنا، وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، حكمناها حقيقة"¹. وكان التعليم الفرنسي في الجزائر في نظر مؤسسيه، يجب أن يؤدي دورا هاما في التأثير الفكري و الروحي على الأهالي، إذ كان عليه -من ناحية أن يمنح الشرعية للغزو العسكري و يضمن -من ناحية أخرى استمرار النتائج السياسية لهذا الغزو والمتمثلة في فرض السلطة على المجتمع الجزائري وكان الدوق دومال*، حاكم عام من 1847/10-1848/3 Duc d'Aumale " قد قال صراحة أن: "بناء مدرسة أحسن و أفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن"². ونجد الجنرال بيجو كان يرفع شعار: **السيف والمحراث والقلم**". اتسمت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ما بين مؤيد ومعارض لنشر التعليم الفرنسي، وينطلق **الموقف المتفائل** من تبريرات واهية تخفي وراءها الدوافع الحقيقية والأصلية للسياسة الاستعمارية ومن الأساليب المعتمدة:

***الأبوية وعبء الرجل الأبيض:** تعتبر من بين النظريات الأكثر شيوعا مستندة على الدوافع الإنسانية التي من خلالها بررت فرنسا مسلكها الاستعماري، بحجة تحملها لمهمة تاريخية وواجب إنساني يقوم أساسا على أخذها بيد غيرها من الشعوب، وهذا ما يتماشى مع مفهوم الأبوية³. وقد تبنى هذه النظرية مجموعة من الساسة والمفكرين

الفرنسيين ومنهم "Le coq" الذي كتب في المجلة الإفريقية "أمنحوا المواطنة الفرنسية للنخبة المثقفة ثقافة فرنسية، لأنها رباط معنوي، فما دتم لا تستطيعون فرض الديانة، فامنحوهم الإنسانية والتقدم"⁴. كما تفتن الحاكم "جول فيري" لبوادر ظهور الجزائر الفتية عند قيادته للجنة مجلس الشيوخ سنة 1892، متابعا بارتياح بروز الطلائع الأولى من حزب شباني تلقوا تعليما فرنسيا، وقد أدرك أن الجزائريين كانوا متحدين حول فكرة "اتركونا وحدنا"⁵. ولتوضيح تأثير هؤلاء الشبان الجزائريين نشير إلى ملاحظات الذين عايشوا تلك الفترة ومنهم "موريس أجام" Maurice Ajam الذي قال عنهم "أن هؤلاء الشباب الأذكياء لهم القدرة على الإقناع ولهم هيئة السادة وهم معتصمون حول القرآن.... وكونوا على ثقة بأنهم لم يتخلوا أبدا عن طرايشهم"⁶. فهذا التيار يرى بضرورة تعليم الجزائريين وكسبهم للصالح الفرنسي، لأن تركهم في الجهل يسبب وجود جيش من المتعصبين الدينيين (Fanatiques religieux). وكان يمثل أيضا المستوطنون الأوروبيون، وقد انطلق هذا التيار من تصور كولونيالي مفاده، أن تعليم "الأهالي" بالمدرسة الفرنسية و على النمط الغربي، ومن ثم اكتسابهم اللغة الفرنسية وثقافتها وأفكارها الحضارية مثل المساواة، الحرية، والقانون، والعدل... أمر سيؤدي، ون- عاجلا أم أجيالا- إلى اكتساب "الأهالي" الوعي بالحالة الكولونيالية وتناقضاتها، انطلاقا من فهم سوء الأوضاع وترديها -اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا... فكان الرأس السائد بين أوساط المعمرين هو تجنب تشييد المدارس "لهذه الجموع من المتسولين، ذلك لأنه" إذا تم تعميم التعليم ونشر الثقافة، في الجزائر، فسرعان ما سيهب الأهالي لينادوا جميعا: الجزائر للعرب".

لقد بلورت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سياسة "الأبوية" في شكل سياسة الإدماج فقد كانوا يغالون في العبقرية الفرنسية القادرة على تحقيقها وبذلك شجعوا

ظهور النخبة، معتقدين أن انبهارها بالحضارة الفرنسية وقدرتهم على توجيهها يجعلها الوسيط بينها وبين الجزائريين ومن ثم تمرير سياستها بكل هدوء واستقرار. ومن بين القادة والمفكرين الفرنسيين الذين تبنا هذه الفكرة نشير إلى الحاكم العام "جول كومبون Jules Cambon (1891-1897) الذي حاول اصطفاء نخبة جديدة من بين الأهالي وتشكيل شبه قيادة أركان من المثقفين المسلمين ليتخذها وسيطا طبيعيا وضروريا بين الحكومة والسكان⁷.

*- الموقف المتشائم:

وجه المعادون لفكرة تشكل النخبة اتهامات لها، مشككين في صدق نواياها، تزعمها كذلك مجموعة من الصحفيين، والمفكرين، والسياسيين، لهذا نشير إلى المذكرة التي قدمها "لوتا" Lutaud في 07 نوفمبر 1904 والتي يشير فيها إلى عدم قدرة النخبة على تغيير الأوضاع والذي ربما نعتقد أنه ينم عن تخوفه من دورها المستقبلي وجاء فيها: "إن احتكاك الشبان الجزائريين بالأوساط الاجتماعية والثقافية لم يخلق تحولا كافيا، لقد أخطأنا عندما سمحنا لهم الدخول المبكر للثانوية، فكانت النتيجة هي ما نسميهم الشبان الجزائريين الذين يحملون حضارتين لكنهم غير قادرين على الولوج إلى حضارتنا... نتحمل مسؤولية هذا الخطأ، لأننا ساهمنا في إعطائهم دفعا قويا، فلا نستطيع نقل حضارتنا بدون مخاطر أمام حضارة إسلامية راكدة، وبذلك لن يكونوا مستعدين للدخول في حضارة راقية مثل حضارتنا"⁸.

ويرى "إسماعيل حامت" Ismail Hamet أن المدارس الأولى التي فتحت للسكان المسلمين قد كونت منهم مناصرين وأتباع، وأن أغلبهم اندمجوا في الأسرة الفرنسية عن طريق التجنس أو أنهم كانوا ينحدرون من أمهات أوروبيات⁹. وإذا كان حامت يشير إلى الاغتراب الذي أصبحت تعيشه هذه النخبة فإننا نجد "وليام

مارسيه "William Marçais" يشير إلى الفجوة التي كانت موجودة بين النخبة المثقفة ثقافة فرنسية وبين الجماهير الشعبية التي كانت تنظر إليها بنوع من الارتياب والشكوك وعن عزلة المثقف آنذاك قائلاً "لقد كانوا في نظر إخوانهم في الدين مرتدين" ¹⁰.

وعن دور التعليم في تحقيق الإدماج جاء خطاب "بيير بورداس" Pierre Bordes الحاكم العام للجزائر خلال افتتاح الدورة العادية للمفوضات المالية 1928 ما يلي: "أيها السادة، يجب أن تعلموا أن التعليم يشكل أحد العوامل الفعالة لتحقيق التقارب بين مختلف الأعراق المتواجدين في الجزائر، وتشكل المدرسة البوتقة التي تندمج وتنصهر فيها الأعراق، ولهذا نعتبرها أحسن وسيلة لتحقيق الاندماج. ومما سبق نلمس إجماع كل من الساسة والمفكرين الفرنسيين عن تشكل ملامح النخبة الجزائرية المتأثرة بالعادات الأوروبية، وأنها تعيش مرحلة انتقالية تبحث عن إقرار الاحترام والمساواة، كما يظهر لنا أن النظرة الوثوقية الإطلاعية للفرنسيين جعلتهم يعتقدون بأن ثقافتهم سيكون لها تأثيراً بالغاً على النخبة العصرية وبذلك يتحقق الاندماج.

ثانياً - التكوين الطلابي للمدارس المعربة، المدرسة "الحرّة": أو تعليم اللغة

العربية والهوية الإسلامية:

إن إطلاق مفهوم المدرسة "الحرّة" على المدارس التعليمية العربية، ومنذ نشأتها في الجزائر المستعمرة، لتكتسب دلالة إيديولوجية واضحة، من حيث طرحت نفسها كرد فعل على المدرسة الكولونيالية وسياستها التعليمية وأهدافها الإدماجية. ومع بداية القرن العشرين ظهرت بوادر الحركة التعليمية الحديثة، وتأسست المدارس العربية الحرّة في جهات من الوطن، أصبح تعليمها وظيفياً لخدمة القضية الوطنية¹¹. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى توسعت القناعات لدى العديد من العائلات الجزائرية بضرورة إرسال أبنائهم للتعليم خارج الوطن، ويندرج ذلك في سياق بداية النهضة وتجديد الدين

وإحيائه بعد عودة كوكبة من رجال الإصلاح الإسلامي في بلاد المشرق وأصبحوا واعين بضرورة الحفاظ على خصوصياتهم الفكرية والعقائدية في إطار إنشاء وتوسيع المدارس الحرة.¹²

* نمو الوعي الوطني بالمدرسة العربية الجزائرية:

قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عرفت الجزائر حركة انبعاث ثقافية هامة وخصوصا خلال حكم جوناك Jonnart* على رأس الولاية العامة في الجزائر. و مع تطور الأحداث برزت المدرس العربية الحرة، و قد تطورت هذه المدارس الحرة مع بداية الثلاثينات و أصبحت بمثابة الوعاء الإسلامي لغرس الوطنية وإذكاء الحس في نفوس الطلبة الجزائريين¹³، ولعل هذا ما أشار إليه البشير الإبراهيمي فيما يقول: "الحركة العلمية القائمة بالقطر الجزائري هي أساس الوطنية الحقيقية، و هي التوجه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل و روح وفكر وذهن، وتقوية المقومات الاجتماعية من دين و لغة و فضائل و تلك الأسس الثابتة التي بنيت عليها الوطنيات والأمم..."¹⁴ وقد أكد مقولة الإبراهيمي أحد الفرنسيين المهتمين بالتنظير للحركة الاستعمارية الفرنسية والمدعو "ميتزان" الذي زار الجزائر سنة 1954 على رأس بعثة فرنسية للتقصي في الأوضاع والمستجدات التي عرفتھا الجزائر وقتئذ، وقد خلص في تقريره إلى القول: "لقد خرجنا بحقيقة لا غبار عليها ألا وهي أن الدولة - الحكومة الفرنسية- تعمل على ثقل اللغة العربية وتحطيم الدين الإسلامي وعلى تجهيل الأمة، والعلماء المسلمون يعملون في خط مناقض للخط الحكومي فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الدين وتطهيره من الخرافات ونشر اللغة ورفع الأمية عن الجزائر غير مباليين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل..."¹⁵.

في هذا السياق يؤكد "محمد طمار" على تقليدية التعليم العربي الحر، ليس فقط داخل الجزائر بل حتى خارجها، في الزيتونة، والقرويين، ويقول: "فالثعالي" و"ابن باديس" و"أبو يقضان" كلهم حريجو الزيتونة، إلا أن في الزيتونة والقرويين لم يجد طلابنا ما يحتاجون من العلوم الحديثة التي يسايرون بها الواقع الحضاري فيكونوا مثل إخوانهم الذين تعاطوا الثقافة الغربية...¹⁶ يصف لنا عمر كارليه "Omar Carlier" سيكولوجيا حالة لأنا الجمعي المتمزق في كتابه، "بين الأمة والجهاد": تاريخ الاجتماعي للوطنية الجزائرية "قائلا"... افتخار بالتمكن من المعرفة الحديثة وخجل من ما هو بالي وعتيق، ولع بالأصول وحرص الهزيمة والأفول، حب وكراهية الأنا والآخر...¹⁷.

وما يمكن قوله، أن السياسة الاستعمارية في الجزائر قد خلقت شروط نشأة الحركة الوطنية وتطورها وحولت مطالبها من إصلاحات اقتصادية واجتماعية إلى مطالب ثورية استقلالية.

وبالتالي فانقسامية النخب الأهلية قد تبلورت من خلال الحركة الوطنية كتيارات سياسية وثقافية مختلفة، بل ومتناقضة ونزاعية¹⁸. فسنحاول التركيز على المسألة الثقافية والمرجعية الإيديولوجية التي ميزت كل حركة من الحركات الوطنية، من تاريخ الجزائر المعاصر. وعليه فالبعد الثقافي كمرجعية للنزاع السياسي القائم بين التيارات السياسية ضد الاستعمار من جهة، في علاقاتها الضمنية مع نفسها من جهة أخرى. "إن الصراعات... كانت موجودة في الفترة الاستعمارية بين "النخبة التقليدية" المكونة في المدارس والجامعات العربية (الزيتونة في تونس، القرويين في فاس والأزهر خاصة)، "النخبة العصرية" المكونة في المنظومة التعليمية الفرنسية بكل مستوياتها"¹⁹. وعليه فيم تتجلى هذه الانقسامية داخل كل تيار من تيارات الحركة الوطنية باعتباره تيار ثقافيا

وإيديولوجيا؟.

ثالثا- خطاب النخب الجزائرية وإيديولوجيات الحركة الوطنية:

إن الظروف التاريخية التي عاشتها التيارات السياسية للحركة الوطنية، وإن اتسمت بالنشاط السياسي الإيديولوجي، إلا أنها بقيت سجيئة لمضامين وخلفيات ثقافية نخبوية، هذا ما جعل كل تيار يحمل عجزا موضوعيا وقصورا في استيعاب حقيقة الشعب وقضاياه الوطنية. فالتيارات الوطنية لم تتمكن أبدا من الانصهار في جهاز سياسي واحد على المستوى الوطني إلى درجة أن كل نخبة تظهر وكأنها تعمل لغايات خاصة بها، كأن هذه التيارات موجودة في مجتمعات مختلفة.²⁰ لكن الملاحظة مبالغ فيها، بل كانت تعمل عموما من أجل هدف واحد وهو الاستقلال لكن بطرق مختلفة وهذا أمر طبيعي في حالة التعددية الحزبية. ونفس الباحث يطرح المشكلة التي تعاني منها الحركة الوطنية، هي مشكلة 'التضامن'، ومشكلة 'السلطة'. ولكن هذا راجع أيضا إلى الدور الذي لعبه الاستعمار في التفتيت والتفريق.

فالتيار الاستقلالي، وإن استطاع أن يكون له جماهيرية واسعة وقطبا للحركة الوطنية، لكنه المسؤول عن تفجير الأزمة البربرية، ومنه استقل الجناح البربري المتطرف بزعامة "رشيد يحيى" وفي هذا السياق يقول رشيد علي يحيى: "الجزائر ليست بلدا عربيا، إنها جزائرية، وانه من الضروري أن تكون وحدة جميع المسلمين الجزائريين الذين يريدون الكفاح من أجل التحرير الوطني بدون تمييز عرقي بين العرب والبربر، فنحن فوق الشكل العرقي... فلاسيما أن التصريح القائل بأن الجزائر عربية غير صحيح، ولكنه ينم صراحة عن أفكار عرقية وحتى امبريالية، عند إهماله لوجود العناصر البربرية والتركية"²¹. والذي يمكن اعتباره كطرح مبكر للمسألة الثقافية واللغوية في تاريخ الجزائر المعاصر.

أما جمعية العلماء قد طرحت إشكالية المسألة الثقافية كمرجعية للصراع السياسي، وذلك في قضية الدين الإسلامي، ووحدانيته في الجزائر، لزيادة قوة ووحدة الشعب الجزائري، واعتبار أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي بإمكانها حمل الثقافة العربية الإسلامية، والتي هي بدورها ثقافة كل الجزائريين بدون استثناء، إذن فقد حاولوا فرض ثقافة واحدة لكامل الجزائر، متجاهلين الثقافات الشعبية والتي يؤكد **مصطفى الأشرف** دورها موازاة مع اللغة العربية الفصحى في تنمية الحس الإبداعي للشاعر، وتنمية الخيال الخلاق للرواية، وتربية الميول للأمثال والحكم المستمدة من تجارب الأيام²². أما بالنسبة للتيار الاندماجي فقد أثّرت مسألة الثقافة، في خطاباتهم حول عدم اكتشافهم للجزائر كأمة، ولا ماضي ولا حاضر لها. إضافة إلى أن خطابهم موجه لشريحة من الشعب الجزائري، وهي فئة المثقفين، ما جعله لا يلاقي صدى كبير لدى العامة الأغلبية. وبالنسبة للحركة الشيوعية، فقد شككوا في وجود الأمة الجزائرية، فضلا عن تجاهله لخصوصيات البنيات الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فهذا الأخير ومن حيث تركيبته السوسولوجية، لا يشكل مجتمعا طبقيا مثل المجتمعات الأوروبية الرأسمالية. فالمجتمع الجزائري هو مجتمع فلاحي مهيمنة عليه البنى التقليدية والعلاقات القبلية. هذا ما نادى به الحزب الشيوعي ما جعله حزب نخبوي لا يستند إلى قاعدة شعبية.

فقد شكلت المسألة الثقافية إيديولوجيا للنزاع السياسي ومرجعية فكرية للحركات الوطنية، إلا أن القضية الجوهرية قد اتخذت مدلولاً سياسياً أعطى الأولوية للسياسي على حساب النخب المثقفة والمثقفين، وإن كان خطاب الحركة الوطنية قد تميز كخطاب سياسي إيديولوجي وقافي في آن واحد.

رابعا - الثورة الجزائرية والتركة الثقيلة بالنسبة للنخبة المثقفة:

إن الحركة الوطنية وبجميع أطيافها السياسية، قد أدركت بعد مرحلة من النضال الطويل، أن المرحلة النهائية قد حانت، فإذا كان هدف أي حركة ثورية-في الواقع- هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال الوطني²³.

ولكن لتحقيق الهدف الأساسي -الاستقلال الوطني- لابد من إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية²⁴. والدليل ما ورد في بيان أول نوفمبر 1954. فقد طرحت القيادة "النشطاء Les activistes" نفسها كبديل شرعي وتركيب (توفيقي) يتجاوز الاتجاهين المتصارعين داخل حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، (الميساليين، المركزيين)، عند إعلانهم لتأسيس جبهة التحرير الوطني، إذ أكدوا على المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات الشخصية. فيمكننا استخلاص أن بيان أول نوفمبر 1954، قد أكد على استقطاب لكل الحركات السياسية الجزائرية، وهذا خلافا للتناقضات الإيديولوجية التي كانت تتميز بها تيارات الحركة الوطنية قبل اندلاع الثورة المسلحة. فبعد نداء أول نوفمبر 1954 أول وثيقة مرجعية هامة احتوت في طياتها المدلول الاجتماعي والوطني لكل الجزائريين، وقد وجه البيان إلى الشعب الجزائري بكل فئاته، واتجاهاته السياسية لأن الهدف الأساسي هو تحرير الوطن وتحقيق الاستقلال. وهكذا نجد من خصوصيات الثورة قاعدة شمولية في العمل، لأن من غير المعقول أن يكتب لأي حركة نجاح على الصعيد الأفقي في غياب الاستطاعة العمودية، ولذلك كان إلزاميا على مفجري الثورة أن يستوحوا قوتهم من وحدة وتضامن الشعب الجزائري، لذلك لا غرابة أن يستند أحد مفجري الثورة، وهو "العربي بن مهيدي" على ذلك حتى قال لأصحابه: "ساعدوني على إنزال الثورة إلى

الشارع وأنا أضمن لكم نجاحها"²⁵.

وهذا ما يجعلنا نؤكد على الالتباس والغموض الإيديولوجي الذي سيطر على العمل الثوري خلال فترة الحرب التحريرية. فالسؤال الذي بقي مطروحا يخص علاقة الدولة الوطنية بمسألة بناء مشروع المجتمع في الجزائر المستقلة. فهل تقوم الدولة الجزائرية على أساس ديمقراطية اجتماعية أم على مبادئ إسلامية؟. إن الإجابة على هذا التساؤل يحيلنا إلى رؤية مصطفى الأشرف، إذ يعتبر أن الثورة الجزائرية عانت ولم تخلو من الأزمات ومن الرجوع إلى الأنماط البالية من الفكر والعقل، وارتكاب الأخطاء، وصور مستقبل ما بعد الحرب تصورا ساذجا. ولكن، على وجه العموم، يمكن القول بأن البلاد دخلت مع الثورة في طور جديد، و أنها -رغم ما عانت من محن، وما دفعته من تضحيات- قد حددت لنفسها هدفا استطاعت به أن ترفع مستوى طموح الأمة.²⁶ فقد عملت الآفان وبكل فعالية خلال ممارستها الإيديولوجية لخلق إيديولوجيا سياسية موحدة (بالرغم من أنه مجمعا لكل الجزائريين المرتبطين بشعار الاستقلال، وبالتالي كل حساسيات وتيارات الحركة الوطنية، ولكنه لم يستطع إنجاز التركيب الإيديولوجي، لمختلف التيارات التي التحقت به، الأمر الذي جعله عاجز عن تكوين حزب منسجم وموحد"²⁷، ولكن بالرغم من ذلك فقد كان يطمح إلى توحيد التيارات طالما أن الشعب الجزائري كان موحد على المسألة الوطنية. فيقول ميصالي الحاج، إن الآفان ما هي إلا تجمعا لعناصر متنافرة"²⁸. فهي البوتقة التي تلاقت فيها جميع الهيئات الوطنية²⁹.

فهذا الاختلاف يرجع شدة التناقضات حول الخلفيات و المرجعيات الفكرية والثقافية والأصول الاجتماعية للتيارات السياسية المتمثلة للحركة الوطنية. فجبهة التحرير الوطني كانت همها الوحيد هو الاستقلال الوطني أولا وأخيرا. وفي نفس

السياق، يؤكد **مصطفى الأشرف**: "إن الثورة مهما كان نوعها، عبارة عن جملة من الأعمال الممكنة المضبوطة بسياسة قادرة على أن تفرض نفسها في الميدان، وهذا ممكن بواسطة حزب يتسلم قيادة الأمة للإشراف دوماً على الكفاح المسلح، ولكن جبهة التحرير الوطني، أثبتت عجزها في هذا المجال، وتفاقم هذا العجز بعد انسحاب لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج، وإنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بعد، وهذا الأمر ساعد في بروز سلطة قوية متمثلة في جيش التحرير الوطني الذي آلت إليه جميع الأمور المتعلقة بالجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها"³⁰.

اتسم الخطاب السياسي للنخبة المثقفة خلال الفترة الاستعمارية، بالازدواجية، كان يقوم من جهة على الفلسفة العقلانية مقدما باللغة الفرنسية، ومن جهة أخرى كان يقوم على خطاب باللغة العربية تطبعه الثقافة الإسلامية، هذا ما أكدّه محمد حربي، في كتابه *L'Algérie et son Destin*. فلا غرابة أن نجد أن الحركة الوطنية تصاب بنوع من الشلل نظرا للقطيعة بين جيلين، جيل المؤسسين وجيل المنتسبين. إن النخبة المثقفة وإن التحقت بالثورة المسلحة، وأعطت مساهمتها، إلا أن المحن التي عاشتها خلال هذه الفترة التاريخية الحاسمة من تاريخ الجزائر المعاصر، كأن لم تكن طليعة الثورة التحريرية، ولم تكن قادرة على أن تتحول إلى "أنتلجنسيا" تعطي الثورة مشروعها الاجتماعي وتوجهها المستقبلي... جعلت منها مجرد فئة مثقفة تابعة-منقسمة ومتشظية. وهذا السياق نجد الطلبة يقولون عن أنفسهم ومكانتهم في حرب التحرير ما يلي: "نعم يجب أن نقول ذلك، و بالرغم من إضراب ماي 1956، فإن حركتنا لم تكن أبداً طليعة ثورية..."³¹، و يؤكد علي الكنز على " أن المثقفون الجزائريون قد التحقوا بالثورة شاعرين بالذنب الثقيل، ليس فقط لسبب التحاقهم المتأخر وإنما بسبب كتاباتهم وخطابهم المتأخر أيضاً، لقد كانوا يشعرون بالنقص أمام الشريك الأكبر الذي سبقهم

مبكرا في النضال المسلح حتى أصبح هو راعيهم و هم رعيته، وهو الوصي وهم الخدام العاملين تحت مسؤوليته في التنظيم وفي التفكير وهكذا ونتيجة الشعور بالذنب والخطيئة، خدّموا الثورة "حتى يتناسوا" الأخطاء التاريخية التي ارتكبوها وأصبحت "وصمة عار" ليس فقط عند اندلاع الثورة بل حتى بعد الاستقلال"³².

فقد أفرزت البنية المجتمعية الجديدة للمجتمع الجزائري مع بداية العشرينات اتجاهين أساسيين اثنين: الاتجاه التحديثي الذي يمثل اجتماعيا وثقافيا خريجو المدرسة الفرنسية، والاتجاه الثاني المعرب الذي كان ينظر له خريجو الزيتونة والأزهر. ويبدو أن هذا التفرع الشائ (la diglossie)* وانقسام داخل المجتمع ونخبته إلى تيارين يفرض نفسه كإحدى السمات الرئيسية المميزة للجزائر المستعمرة، ويعود هذا الانقسام إلى نوعية الاستعمار الاستيطاني الطويل الذي كان من نتائجه المباشرة تحطيم البنى الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري التقليدي وبناء مجتمع كولونيالي "عصري"³³. ومهدت الأرضية لعملية إنتاج النخبة بمفهومها الواسع. وبالتالي انطلقت إذن عملية إنتاج وإعادة إنتاج المتعلم/المثقف الانقسامى بلغتين مختلفتين في مؤسستين متخلفتين، لأداء مهام ووظائف في قطاعات متباينة هي الأخرى³⁴. انعكست هي على نوعية وكثافة العلاقة مع المجتمع ومختلف فئاته الاجتماعية. وهو نفس الأمر الذي يمكن قوله حول نوعية العلاقات مع الدولة ومؤسساتها قبل وبعد الاستقلال، فالذي ساد هو منطق الانقسام بدل منطق التكامل³⁵. فمن الصعب عدم الاعتراف بأن الحقل الثقافي الجزائري قد تميز منذ نشأته خلال فترة ما بين الحربين بالتعارض بين قطبين، وخاصة مسألة مؤسسات التنشئة الاجتماعية الثقافية والهيكلية الذهنية لكل فصيل³⁶.

الخلاصة:

مما سبق ذكره، نخلص القول أن الدارس لتشكل وبنية الأنتلجنسيا الجزائرية، يجدها منقسمة في مرجعياتها الفكرية ومشاربها الإيديولوجية إلى تيارين، التيار المعرب والنخبة المفرنسة، وهذا الانقسام ناتج عن السياسة التعليمية الفرنسية التي هدفت إلى شردمة الحقل الثقافي الجزائري منذ بداية الاحتلال. فهذه الانقسامية ما هي إلا إستراتيجية كولونيالية تهدف إلى إعادة صياغة الترتيب الاجتماعي خدمة لهيمنتها الثقافية، ونقل التضاد من شكله الثنائي بين الكولونيالي وبين المحلي، إلى صراع بين ذوات محلية ذات طبيعة انقسامية تقوم على أساس التمييز الثقافي اللغوي.

هذا الانقسام تجلى بصفة رسمية داخل إيديولوجيات الحركة الوطنية، التي بدورها بقيت سجينة لصراعات وتناقضات إيديولوجية تغذيها المرجعية الثقافية. وهذا ما جعل كل تيار يحمل عجزا موضوعيا وقصورا عن فهم واستيعاب حقيقة الشعب الجزائري ومسألته الوطنية. وقد استطاعت الثورة الجزائرية بعدها الشمولي تجاوز هذه الصراعات والانقسامات العضوية داخل الحركة الوطنية. ولكنها في نفس الوقت، وبكل موضوعية، عجزت عن خلق وتكوين نخبة ثقافية وسياسية طلائعية قادرة على طرح مشروع مجتمعي وسياسي جديد، يعكس بالثورة التحريرية العظمى. إذ يقول **مصطفى الأشرف** في هذا السياق: " إن الثورات الكبرى، وعلى الأخص الثورتان في روسيا والصين، نبحت لأن نضجها الإيديولوجي وتجربتها في النضال الاجتماعي حصلا على مدى عشرات السنين قبل إحراز النصر النهائي بالسلاح، وعلى غرار تلك الثورات فإن ثورتنا التي هي أيضا ثورة شعبية جماعية بآتم معنى الكلمة، كان من الممكن أن تمهد لنفسها السبيل، وعلى الأقل فيما يخص تغيير العقليات وخلق الاستعداد الفكري لكي تتقبل بكل تبصر ما جاء به عصرنا، هذا العصر الذي لا تجدي فيه الحلول الوسطى، ولا

ينجح فيه من يسعى إلى الأمام في طريق الرقي والتحرر، و نفسه تنازعه إلى الالتفات إلى الماضي"³⁷.

فالصراع والرهانات التي عرفها تشكيل وتطور الساحة الثقافية الجزائرية بل، وحتى الساحتين الإيديولوجية والسياسية الأوسع، تبدو حسب وجهة نظر العديد من الدراسات كانت من جراء هذه الثنائية الانقسامية، كما يسميها الباحث ناصر جابي ب"القطاعية" التي تجلت بوادرها داخل مؤسسات الثورة التحريرية والحركة الوطنية، وتكرست وأعيد إنتاجها بطريقة واسعة بعد الاستقلال. مما منح نوع من الشرعية لهذا الواقع الثقافي الذي تم تغليب الطابع البرغماتي في عملية التعامل معه، تحت ضغط الحاجة والفقر الثقافي، فقد رفضت الجزائر المستقلة ونخبها الحاكمة فتح نقاش حول المسألة الثقافية واللغوية في الجزائر وتداعياتها السياسية.

وقد استغلت النخبة السياسية الوطنية كل الأبعاد والرموز الثقافية والمؤسسية، واستعملتها- كما يلاحظ هذا- في توظيف وحدانية المذهب العقائدي والديني والتراث الثقافي والتضامن العربي والمسألة الاجتماعية- لفائدة مشروعها السياسي، وكأن بناء الدولة الوطنية يمثل في حد ذاته، بناء الأمة أو بعثها، فأصبح البناء الوطني محك ورهان النخبة، وظهرت الدولة كمحرك مركزي لعمليات الإدماج الوطني والتوحيد والتنمية والتحديث، واكتسبت بذلك مشروعية تاريخية وبنوية، نظرا إلى مفعولها وتأثيرها التطبيقي والميداني، وقدراتها الاقتصادية والإدارية والتغيرية، بما يعوض هشاشة وتضعف المجتمع التقليدي المدني كإراث استعماري، ويجابه تحدي العصر العلمي، والتقني بموديل تحديشي، يجعل من الدولة بديلا وأداة عظمى في عملية التغير الاجتماعي، وتلبية حاجات المواطنين من صحة وعليم وشغل وعدالة ورفاه. فالدولة في الجزائر حققت ما يسمى - في منظور علم الاجتماع السياسي - "ذوبان المجتمع في

الدولة، وهيمنة المجتمع السياسي على المجتمع المدني، وتعاضم البعد السياسي الإرادي على صعيد الممارسة السياسية والحركات الثقافية والفكرية"³⁸.

وعلى الرغم من بعض القلاقل والتحويلات التي يعانيها النظام السياسي في الجزائر، بين الآونة الأخرى، كتعبير عن تلملم المجتمع واستجابته لمشروع الدولة التوحيدي والتحديثي، يبقى مسار سيطرة الدولة على المجتمع مسارا مهيمن ومركزيا لدرجة أن هناك دولة المجتمع * ومؤسسته.

ولكن جذرية الدولة الجزائرية ونجاحها في توحيد المجتمع وتأمين كل سيورة تشريع وتصليب السلطة ومركزيتها ومأسستها على القيم الوطنية، لا تعني أبدا عدم وجود توترات تواجه الدولة في علاقاتها مع المجتمع الذي أنتجته. فلا ريب في أن الوقت حان للمرور من الأمة إلى المجتمع، وبناء علاقات اجتماعية جديدة بين المؤسسة السياسية والمجتمع المدني، قوى اجتماعية، وثقافات وإيديولوجيات. ففي منظور الإيديولوجي الجزائري، تظهر الثقافة وهي منتج مجتمعي أساسا، مشروعا سياسيا موحدًا، هو الثقافة "الوطنية" كحصيلة التراث الوطني وموديلات التحديث واختياراتها.

الهوامش:

1. مازن المبارك ، دور اللغة العربية في التعليم العالي و الجامعي "المؤتمر التربوي لتطوير التعليم العالي والجامعي (وزارة التعليم العالي)، دمشق سنة 1971، ص-562-563.

2. غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية(1880-1962)، تر: حاج مسعود ، بكلي، بلعربي، الجزائر، دار القصبة ، 2007، ص 24.

3. مجاهد حورية توفيق ، الاستعمار كظاهرة عالمية ، ط2 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 ، ص63.

4. Le coq , L' Algérie , en France , in L'Afrique , 28 juin 1892.

5. Agéron (ch.R) Jules Ferry et la question Algérienne en 1892 in RHMCV,

avril, 1963, P 134.

6. communication de M. Maurice Ajan sur la représentation des indigènes Algériens au parlement in bulletin de la réunion d'études Algériennes n°1 et 2, 1929, p 14.

7. غني بريفلي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية، 1962/1880، المرجع سبق ذكره، ص 119.

8. أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ن تصفية الاستعمار إلى

الثورة الثقافية 1962-1972؛ ترجمة حنفي بن عيسى ص 16.

9. *Ismail Hamet, Les musulmans français Dans le Nord de L'Afrique, Paris, 1906, p 190.*

10. *Marçais (W), Congrès de L'Afrique du nord, cite par Sahli, Décoloniser L'histoire, Entreprise Algérienne de Presse, 1980, p20.*

11. أحمد مهساس، التعليم و الثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، مجلة الثقافة، عدد 85، جانفي 1985، ص 65.

12. جون جيمس ديميس، حركة المدارس الحرة بالمغرب 1919-1970، ترجمة السعيد المعتصم، ط 1 (مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1999)، ص 11.

* نصب جونار على رأس الولاية العامة ثلاث مرات كاملة، ابتداء من 1900 إلى 1901 ثم 1903-1913-أما الفترة الأخيرة سنة 1918 و عزل في نفس السنة، و عرف حكمه بخاصية تجلت في الإحياء الثقافي وسياسة الاسترخاء والحكم الذاتي والاستقلالية في الميزانية وذلك لاستدراج وتطويق أي نخضة في الجزائر المعاصرة. وللمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 85.

13. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870/1914م، (شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1999)، ص 25.

14. جريدة البصائر، العدد 54، السنة الثانية، السلسلة الأولى، 25 أكتوبر 1948.

15. جريدة البصائر، العدد 270، السنة السادسة، السلسلة الثانية، 7 مارس 1954.

16. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 263.

17. جمال غريد، الجزائر: ثنائية المجتمع وثنائية النخبة الجذور التاريخية، (النخب الاجتماعية حالة

الجزائر ومصر، مركز البحوث العربية والإفريقية، مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي من أجل

التنمية، مكتبة المدبولي، مصر، 2005)، ص 69.

18. مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة في الاستعمار والتغيير الاجتماعي - السياسي، ترجمة سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980، ص 20.
19. علي الكنز، حول الأزمة، (طبعة بوشان للنشر 1990، دراسات حول الجزائر و العالم العربي)، ص ص 20-21.
20. El Baki Hermassi, ETAT ET SOCIETE AU MAGHREB.P143.
21. ABDELKADER YAFSAH. La Question Du Pouvoir en l'Algérie.E.N.A.P, 2ème édition 1991.p35.
22. مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، 435.
23. وثيقة منشورات المتحف الوطني للمجاهد.(اعتمدنا على وثيقة أول نوفمبر 1954).
24. نفس الوثيقة المذكورة، أعلاه.
25. أحمد مريوش، القيم التاريخية لنداء أول نوفمبر 1954، جريدة الشعب، الأربعاء 2 نوفمبر 1994.
26. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة و المجتمع، المرجع سبق ذكره، ص 32.
27. Lahouari Addi, L'Algérie et démocratie pouvoir et crise du politique dans l'Algérie contemporaine. Edition : de la découverte 1995.Paris XIII ème .P141.
28. George.A.TALIADOROS. La Culture Politique Arabo-Islamique et la naissance du nationalisme Algérie (1830-1962).ENL Alger.1985.p53.
29. عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، ط 1 (دار الطليعة، بيروت، 1962)، ص 134.
30. مصطفى الأشرف، المرجع سبق ذكره، ص 385.
31. أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع سبق ذكره، ص 38.
32. علي الكنز، نهاية الشعبوية، حول الأزمة، ط 1 (دار بوشان، للنشر، الجزائر، 1991)، ص 31.
33. * الثنائية اللغوية La diglossie: ونعني بالثنائية اللغوية في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين الأولى العربية التي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين. والثانية لغة محلية (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينها، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين.
- .الازدواج اللغوي Le bilinguisme: لقد اختلف اللسانيون حول مفهوم مصطلح (الازدواج اللغوي) فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم

والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد أو جماعة ما في آن واحد، أي إنه ومصطلح (الثنائية) يتبادلان الموقع عند الباحثين، وأفضل إطلاق مصطلح الازدواج اللغوي على المفهوم الأول لأنه أشيع بين الباحثين ولأن المعجم يدعم هذا .

ويقصد بـ "ازدواجية اللغة" (le bilinguisme) وجود لغتين مختلفتين، عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد، ومن دون الدخول في بحث المعايير التي بوساطتها نستطيع أن نؤكد أو ننفي وجود الازدواجية بين لغتين معينتين، فإن بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح "الازدواجية" الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية : الفصحى والعامية. ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري. وعليه، فالازدواجية الحق لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية. أما أن يكون للعربي لغتان إحداها عامية، والأخرى عربية فصيحة، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من "الثنائية اللغوية" diglossie. فيرون أن أمر الفصحى والعامية نوع من الثنائية، وذلك لأنهما فصيلتان من لغة واحدة، في حين أن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية. وللمزيد انظر محمد علي الخولي "الحياة مع لغتين"، ط 1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1988، ص 17-18. وأيضاً كتاب عمر لردجان، الجزائر ثنائية المجتمع وثنائية النخبة، المرجع سبق ذكره، ص 89.

34. ناصر جابي، . ناصر جابي: الجزائر: الدولة والنخب، (منشورات الشهاب، الجزائر، 2007)، ص 14.

35. المرجع نفسه، ص 15.

* فئة المدرسين، كانت تحتكر المناصب الرسمية (الشؤون الدينية ونسبياً القضاء)، وكانت بدايات الأولى لنشاط جمعية العلماء، كانت ذات طابع نقابي ومهني، فقد كان العلماء ينوون نزع حق التوظيف في المناصب لصالح خريجي الزيتونة و الأزهر و القرويين، بدلا من المدرسين، وكونت جمعية العلماء على شاکلة جمعية المعلمين و جمعية المدرسين، كانت توحى بالأهداف والنوايا التي خلقت من أجلها. جمعية العلماء ظهرت في سنة 1919 و المدرسين سنة 1927، أما جمعية العلماء فقد ظهرت في سنة 1931. و للمزيد أنظر علي مراد الحركة الإصلاحية، 1925-1940، تاريخ ديني واجتماعي، ص 111. و للمزيد أنظر عمر لردجان، المدرسيون، مصير النخبة (النخب الاجتماعية،

حالة الجزائر و مصر)، المرجع سبق ذكره، ص570.

37. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المرجع سبق ذكره، ص ص 449-450.

38. عمار بلحسن، التوترات الثقافية حول الدولة والثقافة في الجزائر، المستقبل العربي، العدد1990، 141، ص463.

*دولنة المجتمع الجزائري، يقصد بها أن النظام السياسي يتبع جملة من المبادئ حتى يضمن الاستمرار والاستقرار، كتسوية كل الخلافات الإثنية و الثقافية واللغوية بقرارات فورية، وبقرطة الحياة المدنية Bureaucratisation، وتهميش كل ما يعبر عن التنوعات والاختلافات الاجتماعية، إبراز كل ما هو جماعي و وطني و موحد وإجماعي، على رغم التحولات المؤسسة السياسية ونظامها وخطاباتها.